

دور الهجرات الحجازية في نقل نظام القضاء الإسلامي إلى شرق إفريقيا

The role of Hijazi migrations in transferring the Islamic judicial system to East Africa



د. عائشة غندوز*

جامعة الجليلي بونعامه خميس مليانة — الجمهورية الجزائرية

ghendouz. aicha@univ-dbkm.dz

تاريخ الاستلام: 2025/08/31 تاريخ القبول: 2025/11/22 تاريخ النشر: 2025/12/16



ملخص:

نقدم في هذه الورقة البحثية موضوعا غاية في الأهمية، ألا وهو دور هجرات القبائل الحجازية في نقل مؤسسة القضاء الإسلامي إلى مجتمعات شرق إفريقيا، بوصفه أحد أبرز مظاهر التفاعل الثقافي والديني بين الحجاز وشرق إفريقيا خلال الحقبة الوسيطة، حيث نقل هذا التفاعل مجموعة من القيم والمبادئ الشرعية في الحكم. ونظرا لقلّة الدراسات التاريخية التي أشارت إلى هذا الموضوع بصورة محتشمة جدا، عرجت الحديث حول القضاء الإسلامي في سياق الهجرات الحجازية. هذا وقد ساهم استقرار هذه الهجرات في المساهمة بتأسيس ممالك إسلامية مزدهرة على طول الساحل الشرق الإفريقي، ومنطقة سودان وادي النيل. وقد طبقت هذه الممالك نظام القضاء الإسلامي في المجتمع الإفريقي، مما ساهم في تنظيم العلاقات والسلوكات الاجتماعية، وتحقيق العدل، والأمن، والاستقرار، والتقليل من المشاحنات والخصومات، ومنع السرقة واللصوصية بمجتمع شرق إفريقيا.

الكلمات المفتاحية: الهجرات الحجازية، القضاء الإسلامي، شرق إفريقيا، المنازعات، القصاص، الحكم، السلاطين.

Abstract:

In this research article, we present a crucial topic: the role of the migration of tribes from the Hejaz in transmitting the institution of Islamic justice to East African societies. As an additional manifestation of the cultural

* المؤلف المراسل

and religious interaction between the Hejaz and Africa in the medieval era, this interaction conveyed a set of legal values and principles of governance. Given the scarcity of historical studies that have addressed this topic in a very modest manner, I have addressed the

issue of Islamic justice in the context of migrations from the Hijaz.

The stability of these migrations contributed to the emergence of prosperous Islamic kingdoms along the East African coast and in the Sudanic Nile Valley region. These kingdoms established the Islamic legal system in African society, helping to regulate social relations and behavior, establish justice, security, and stability, limit conflicts and disputes, and prevent theft and banditry in East Africa.

key words: *Hijazi migrations, Islamic judiciary, East and North, disputes, retaliation, judgment, sultans.*

مقدمة:

يعد موضوع مساهمة هجرات القبائل الحجازية في نقل مؤسسة القضاء الإسلامي إلى شرق إفريقيا من القضايا البحثية البارزة في مجال الهجرات العربية كاليمنيين والعمانيين، غير أنه الهجرات الحجازية كان لها دلالات تاريخية وحضارية عميقة على منطقة شرق إفريقيا الإسلامية.

نظرا لما لها من دور في التلاقح الثقافي، مما يسمح في بناء جسر حضاري مشترك، ومن أبرز النظم الثقافية والسياسية التي حملها هؤلاء المهاجرين نظام القضاء الإسلامي الذي ساهم في بناء وتنظيم مؤسسة العدالة في المجتمع الإفريقي، وصبغها بالصبغة الإسلامية .

وعلى الرغم من كثرة الدراسات والأبحاث التاريخية التي تطرقت إلى موضوع اسهامات الهجرات الحجازية في التأثير التجاري والاجتماعي، إلا أنها لم تبرز الدور القضائي لهذه الهجرات، الذي حمل في طياته نظم المؤسسات القضائية، التي حققت العدل، وكفلت الحقوق، وقدمت الرعاية الاجتماعية للمجتمع وفق مانصت عليه الشريعة الإسلامية السمحاء.

ومن هنا نطرح الإشكالية الرئيسية التالية، والتي تتمحور كالتالي:

ماهي مظاهر القضاء الإسلامي التي أدخلتها الهجرات الحجازية إلى شرق إفريقيا؟ وكيف طبقها سلاطين وعلماء المجتمع الإفريقي على رعيتههم؟ وتفرع عن هذه الإشكالية الأسئلة التالية :

كيف كانت مساهمة المسالك التجارية والدعاة ثم الهجرات في نقل الإسلام إلى شرق إفريقيا ؟

ماهي أهم الممالك السياسية التي طبقت النظام القضائي؟ وكيف كان تطوره في شرق إفريقيا؟

فيما تمثلت أهم القضايا والأحكام التي تفاضى فيها المجتمع الإفريقي؟

وتم الاعتماد في هذا المقال على المنهج التاريخي الذي يقوم على التحليل والمقارنة، حيث تم تحليل الأحداث التاريخية بناء على الوثيقة، واستنادا إلى المخطوطات والمصادر والمراجع، كما تم تتبع التطور القضائي لمعرفة مدى التغيير الذي أحدثته هذه الهجرات في البيئة الإفريقية على المؤسسة القضائية.

ونهدف من خلال هذا المقال إلى الكشف عن طبيعة القضاء الإسلامي في شرق إفريقيا، وأيضا توضيح للقارئ الدور الذي أداه المهاجرون الحجازيون في ترسيخ هذا النظام، والأثر الحضاري للهجرات في تشكيل الهوية الإسلامية لمجتمعات شرق إفريقيا.

المطلب الأول: دخول الإسلام إلى شرق إفريقيا

عبر فترات زمنية وصلت هجرات عربية متتابة من شبه الجزيرة العربية إلى شرق إفريقيا أسهمت في تشكيل البعد الثقافي والحضاري للمنطقة المهاجر إليها، وفي ذلك الإطار مثلت المسالك والمدن التجارية جسورا لتواصل بين الحجاز والممالك الإفريقية، التي تأثرت بالمنظومات الفكرية والحضارية التي أوصلها هؤلاء المهاجرين، مما يكشف عن دور العنصر البشري و الموقع الجغرافي في نقل النظم والقوانين.

الفرع الأول: الهجرات العربية إلى شرق إفريقيا:

لقد كان الحضور اليمني بشرق إفريقيا منذ فترات ما قبل الإسلام¹، ووصلوا إلى غاية ميناء سفالة الذي كان يصدر الذهب للتجار العرب مقابل ما يحملونه للتجار الأفارقة من سلع هم بحاجة إليها². كما وردت إشارات مصدرية إلى وجود جماعات من الحضارة هاجروا عبر البحر الأحمر في القرن السادس الميلادي، ووصلوا إلى أرض البجة في شرق السودان واختلطوا مع مجتمعاتها³. وما لا شك فيه أنهم حملوا معهم مبادئ العدل والحكمة.

وذكر أيضا، أن اليمنيون حكموا ميناء إفريقي في الجنوب الشرقي، لدرجة أنه أصبح لكل سوق أو مدينة هناك زعيم عربي⁴، مما نشط من تجارة العاج والصمغ واللبان والذهب التي وصلت إلى أسواق الجزيرة العربية⁵.

كما وصلت من بلاد الشام هجرات عربية أخرى⁶، بسبب تهجير القرامطة لهم في أواخر القرن الثالث الهجري/9م، ورغم قلة النصوص الكتابية في هذا الشأن غير أنه يبدو كأن من بين المهاجرين قبيلة عربية ترجع إلى بني حنيفة الذين اشتهروا بصناعة السفن البحرية⁷.

وبالمقابل، اشتغل التجار العمانيون بالتجارة والملاحة مع سواحل شرق أفريقيا، مما ساهم في تعريب وأسلمة المجتمع الإفريقي الذي تاجروا معه، كما نشطت السفن العمانية في التبادل التجاري للبضائع الإفريقية مع أسواق شبه الجزيرة العربية⁸. وذلك لسيطرتهم على التجارة من ساحل الحبشة شمالاً إلى زنجبار، وصولاً إلى ميناء سؤفالة جنوباً⁹.

وصاحب هذه الحركة التجارية استقرار جاليات عربية إسلامية بالمنطقة، قامت بنقل الثقافة والعلوم العربية الإسلامية إلى جانب البضائع التجارية¹⁰، مما حقق مكاسب تجارية لصالح زعماء الممالك الأفريقية، ما جعلهم يقربون التجار العرب إليهم، وأقاموا معهم علاقات طيبة¹¹.

وإلى جانب الهجرات اليمنية والعمانية إلى المنطقة، فقد هاجر أيضاً أهل الحجاز للاشتغال بالتجارة في بلاد الحبشة التي كانت تعتبر متجراً لقبيلة قريش الحجازية؛ وذلك قبل هجرة صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى نجاشي الحبشة¹². حيث كانت هناك علاقات سياسية، وتجارية وهجرات بشرية بين الجانبين¹³، وبعد ظهور الإسلام ازدادت هذه العلاقات¹⁴، ومثلت بلاد الحبشة ملجأً آمناً واستقراراً لغالب التجار الحجازيين¹⁵.

وكانت أكبر هجرة في العهد الإسلامي، هي هجرة صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم، نتيجة الأذى الذي تعرضوا له من طرف كفار قبيلة قريش، حيث ضاقت عليهم مكة وفتنوا في دينهم¹⁶، وفي هذه الفترة كان واقع قبائل الحجاز متفرق، فيما بين: بنو هاشم في صف، وبنو المطلب وأبي طالب في موقف آخر من الدعوة¹⁷، ولجوء المهاجرين للنجاشي كانت هجرة إيواء من الظلم والطغيان الذي تعرضوا له؛ وليست هجرة بقاء¹⁸.

وعن علاقات حاكم الحبشة مع رسول الله صلى الله عليه وسلم، يروي "ابن الجوزي" أن النبي عليه السلام كاتب النجاشي للدخول في الإسلام، فأسلم، وآمن معه جماعة من أصحابه؛ وأجابه عن كتابه وبعث إليه ولده مع ستين من الحبشة، إلا أنهم غرقوا في البحر¹⁹.

الفرع الثاني: طرق ومسالك الهجرات الحجازية

لقد حمل الإسلام في طياته أهدافا دعوية بواسطة السلوك القدوي الذي أدى إلى خلق حالة من التأثير تجلت في عدة مظاهر لعل أهمها: انتشار اللغة العربية، ونظم العدل والقضاء²⁰.

وعلى غرار ذلك، كان للموانئ والطرق الواقعة على ساحل الحجاز، دور كبير في نقل هذه التأثيرات وقيام هجرات بشرية إلى الضفة الشرقية من القارة خلال العصر الإسلامي. ومن بين هذه الموانئ ميناء ينبع الذي يقع بالقرب من المدينة المنورة وتحديدا في المجالات الجغرافية لقبيلة جهينة²¹، ومن أنواع السلع التجارية التي توفرت فيه تجارة البخور والعطور التي أحبها المجتمع الإفريقي²².

وبذلك، كان لميناء الجار دور لا يستهان به في قيام هجرات مؤقتة في الكثير من الأحيان إلى شرق إفريقيا، إذ نقلوا معهم الخشب الصلد لصناعة السفن، ولأغراض أخرى²³، كما كان لأهل جدة من خلال مينائهم التجاري علاقات تجارية مع شرق إفريقيا التي تمثلت في تجارة الذهب والرقيق والعاج، وعموما تبنى هؤلاء التجار التجارة إلى جانب نشر مبادئ الدين الإسلامي²⁴، لذلك اعتبر ميناء جدة من أشهر الموانئ الحجازية، نظرا لارتباطه بحركة الحجاج²⁵، كما مثل وسيط تجاري للتجار المارين به، أو المتاجرين فيه²⁶.

وإلى جانب ذلك، كان ميناء الشعبة الواقع على الشاطئ الشرقي لمكة المكرمة²⁷، الذي عرف بأمان العبور فيه، وجود التجار المكين الذين تاجروا مع شرق إفريقيا، وربطوا الميناء تجاريا مع الموانئ الإفريقية، مما كفّل من الانتقال التدريجي للجماعات البشرية²⁸، حيث كانت حركة السفن والمراكب مستمرة طيلة الفترة الإسلامية بين الحبشة والشعبية²⁹.

ومن بين الموانئ الإفريقية، التي سهلت حركة الهجرة للتجار العرب الحجازيين باب المندب، الذي اعتبر ممرا رئيسيا لعبور المهجرات البشرية بين كل من الحجاز وشرق إفريقيا³⁰، كما كان المحيط الهندي يؤدي نفس الدور، حيث اصطلح على تسمية الشعوب المتواصلة عبره بـ "أخوة المحيط"³¹.

وبخصوص ميناء دهلك، الذي كان من أهم المدن في استقطابا للهجرات الحجازية، لاتخاذ كمنفى لأفراد القبائل العربية الخارجة عن طاعة السلطات الحاكمة في الحجاز والمشرق الإسلامي ككل³².

وبتكاثر العنصر العربي المهاجر دخل الدهلكيون للإسلام، منذ أوائل القرن الثاني الهجري/8م³³، وإلى جانب ذلك تولى تجار هذا الميناء وظيفة الوساطة التجارية بين مختلف تجار

الأقاليم العربية القادمين للتجارة في الأقاليم الداخلية لشرق إفريقيا، وسمى هذا التاجر الذي يتولى الوساطة بـ "الزليل"³⁴.

وفي عهد "عبد الملك بن مروان" قام بإرسال حملة عسكرية فرضت السيطرة الكاملة على هذا الميناء، مما أتاح للمسلمين الانتشار التدريجي في بقية الساحل الشرقي الإفريقي والسيطرة على مراكزه³⁵.

كما امتلك التجار الحجازيين في الموانئ الإفريقية، أماكن معلومة لتخزين وتوريد التجارة إلى الموانئ الحجازية مثل ميناء مصوع، الذي كان منفذا لطرق القوافل القادمة من الداخل، والمتاجرة في البحر الأحمر³⁶، الذي يعتبر المنفذ الشمالي لكل أقاليم شبه الجزيرة العربية، ولم يكن حائلا أو مانعا، دون مرور هجرات بشرية، بل فسح المجال لجميع أنواع العلاقات الحضارية، وساهم في الاختلاط والاندماج القبلي³⁷، للكثير من القبائل الحجازية مع الأفارقة، وكان تواجههم ذات طابع تجاري، لكن بسقوط الدولة العباسية جاءت هجراتهم بشكل مكثف³⁸.

ومنذ القرن السابع الهجري/13م أصبح ميناء الزيلع ملكا خاصا للقبائل الحجازية المهاجرة³⁹، وذلك لكونه منطقة عبور للحجاز واليمن، وهو متصل ببلاد النوبة⁴⁰، واشتهاره بتصدير جلود الماعز⁴¹، ومن أهم الهجرات الإسلامية عبرت هذا الميناء هي هجرة الصحابة الأوائل، باعتباره ملاذا آمنا، ولا يمكن لكفار قريش تتبعهم من خلاله⁴².

أما بالنسبة لميناء مصوع، الذي يسمى أيضا بميناء باضع، ترجع نشأته إلى كثرة الهجرات العربية التي استوطنت على ساحل البحر الأحمر، مما عاد بالفائدة على الممالك النوبية المسيحية. حيث كان حلقة وصل بين المهاجرين الحجازيين الذين وصلوا إلى شرق إفريقيا وأقاربهم وذويهم الباقين في الحجاز⁴³.

وبخصوص دور مينائي العلاقي وعيذاب في انتقال الهجرات الحجازية، و استيلائهم على معادن ذهب العلاقي، التي تقع بالقرب من أسوان⁴⁴، وميناء العلاقي الذي عرف بوجود معدن الزمرد، بذلك أصبحت الجماعات العربية المهاجرة تتاجر مع النوبيين، وذكر أن مدينة العلاقي حكمها قوم من قبائل بن ربيعة، حيث يأخذون منهم الذهب والمعادن⁴⁵.

وفيد عن ذلك المهلب قائلًا: "...أنه بين ميناء العلاقي وعيذاب مسافة قليلة، ومن تواجد في العلاقي يعني أنه داخل مناطق قبائل البجة..."⁴⁶.

ولهذا انتشر الإسلام بين قبائل البجة، كما زادت هجرات القبائل الحجازية المخالفة لربيعة⁴⁷، ومن أشهر تلك القبائل نجد عرب هوزان وجهينة، حيث بدأوا يختلطون مع المجتمعات المحلية⁴⁸، كما كان يأتي لهذه الموانئ تجار من الحجاز واليمن لأخذ التبر والعاج في مراكبهم، ولذلك فإن كل المواقع التي استوطنتها قبائل الحجاز، اعتبرت مراكز مهمة لاستخراج التبر والذهب، مما جعلها محل استقطاب للمهاجرين والتجار في آن واحد⁴⁹.

أما عن دور ميناء عيذاب في مرور الهجرات الحجازية إلى شرق إفريقيا، فقليل أنه سكنه قوم من بني يونس، ومعهم قبائل فزارة⁵⁰، وهم من قبيلة ربيعة جاؤوا من اليمامة، كما جاء مهاجرين آخرين⁵¹، وأثناء عهد الفاطميين بمصر، ظهر هذا الميناء من أهم موانئ البحر الأحمر، وأنداك كانت قبيلة ربيعة تعمل ضمن ولاء الفاطميين في كامل مناطق جنوب الصعيد المصري، كما قامت بتأمين الملاحة حفاظا على سلامة المهاجرين⁵².

وعلى غرار ذلك، ذكر أن ميناء عيذاب شكل محطة مهمة للوصول إلى ميناء جدة، وكذا العودة منه⁵³، وعند الرجوع يدخل التاجر مباشرة إلى بلاد البجة⁵⁴.

وعن إمارة سواكن، التي حكمتها أسرة عربية من جدة، كان لها دورا مهما في ازدهار العلاقات الحضارية⁵⁵، كما برز فيها الحداية من أهل البجة كاتجار مميزين إلى جانب التجار الحجازيين⁵⁶، ويذكر أنه في المراحل المبكرة من الهجرات البشرية إلى سواكن هاجرت عناصر حجازية من ذرية أربعة من الصحابة رضوان الله عليهم⁵⁷.

وإلى جانب ذلك، فقد سكن أسوان قبائل ربيعة وبطنها من بني حنيفة الذين انتقلوا بأسرهم وذرائعهم⁵⁸، كما سيطر أولاد الكنز من قبيلة ربيعة على مسؤوليتها، وكان القائد "الربيعة عبد الحميد العمري" مسؤولا عن أغراض التجارة الحجازية الموجودة بموانئ المعدن، والتي كان له نصيب منها⁵⁹.

كما اعتبرت موانئ مقديشو، من أهم المنافذ الأساسية التي تسربت من خلالها الهجرات الحجازية إلى شرق إفريقيا، إذ حملوا إليها العقيدة الإسلامية⁶⁰.

وعلى غرار ذلك، كان لمعاهدة البقط التي أبرمها "عبد الله بن سعد بن أبي السرح" مع ممالك النوبة المسيحية في سنة 21 للهجرة دورا كبيرا في تسرب الهجرات العربية إلى ممالك السودان وادي النيل، حيث حاصرهم جيش "بن السرح" وقصف عاصمتهم بالجانيق حتى أجبر ملكهم "قليدروث" على طلب الصلح، فوافق "عبد الله بن سعد" على ذلك وعقد معهم اتفاقية عرفت باسم البقط⁶¹،

ولما قدم التجار الحجازيين للتجارة في ظل قوانين هذه المعاهدة، قاموا بالدعوة الإسلامية⁶²، كما كان لذلك الحدث أثرا اجتماعيا تجلّى في تدفق المزيد من الهجرات الحجازية إلى المنطقة⁶³.

وعموما، يمكن القول أن تنشيط الحركة التجارية عدت من العوامل الرئيسية التي أسهمت في اتساع رقعة الإسلام واللغة العربية، وقد احترّم مسلموا شرق إفريقيا اللغة العربية احتراما يقرب من التقديس لأنها لغة القرآن الكريم، كما حاولوا الامتثال للنظم والمبادئ الإسلامية⁶⁴.

الفرع الثالث: الإطار السياسي للممالك الإفريقية التي عرفت القضاء الإسلامي:

شهدت منطقة شرق إفريقيا خلال العصر الإسلامي قيام ممالك إسلامية بفضل الهجرات العربية إلى المنطقة مثل: ممالك الطراز الإسلامي، والبجة، ومشيشة العبدلاب، ومملكة دارفور، ومقديشو، ومباسا، كل هذه الممالك ازدهرت بفعل التجار والحج، وزيادة تدفق الهجرات، واتصالها بالمشرق الإسلامي. وقد ارتبط الإطار السياسي لهذه الممالك بسلطة الحكام والسلاطين، الذين حرصوا أيما حرص على تعيين القضاة، ونبذ الظلم لضبط شؤون المجتمع؛ وفق ما نصت عليه الشريعة الإسلامية. وهكذا أضحت القضاء الإسلامي ركيزة أساسية في تحقيق الاستقرار والعدل.

أ/ البجة: الواقعة في الصحراء الشرقية للسودان، و منذ تاريخ 240هـ/854م اقتاد غالبية مجتمع البجة إلى الإسلام، وساهم في ذلك هجرات القبائل الحجازية، بعدما كانوا من قبل عبارة عن قبائل متفرقة، فأصبحت خاضعة للحكم الإسلامي، الذي كان له بالغ الأثر على الأوضاع العامة للبجاويين⁶⁵.

ويمكن القول، أن قبيلتي جهينة وربيعة تنافست على الاستئثار بأكبر دور، غير أن قبيلة جهينة نزحت نحو النيلين الأزرق والأبيض، وتركت بلاد البجة لقبيلة ربيعة وحلفائها⁶⁶، وهذه الأخيرة غيرت الكثير من معالم المجتمع البجاوي، وكان يُشترط في اختيار القاضي عند البجاويين أن يكون من طرف الفقهاء ويتمتع القاضي بفنون وعلوم العقيدة الإسلامية والأدب العربي، كما كان مذهب الفتوى على المذهب الشافعي، وأوجب على القاضي أن يكون حريصا على خدمة الحاج والتجار، القادمين من كل العالم الإسلامي⁶⁷، وبهذا يتجلّى دور القبائل الحجازية في إدخال هذا النظام الجديد للحياة الاجتماعية والدينية للبجاويين، ولتسهيل الصعاب أمام اخوانهم التجار والحجاج القاصدين بلاد الحرمين.

ب/ ممالك الطراز الإسلامي في الحبشة:

ظهرت غالب هذه الإمارات في الهضبة الحبشية محاطة بمجتمعات تعتنق المسيحية، لكنها كانت أكثر قوة وازدهارا منها⁶⁸، وبذلك أحرزت تقدما في الميدان الاجتماعي، بفضل الأسر الحجازية، امتثلت بلاد الحبشة لأول مرة للحكم الإسلامي المبني على العدالة الاجتماعية، بعيدا عن الظلم والفوضى، كما ازدهرت الأنظمة الحضارية الأخرى بتأثير الهجرات وتوفر الأمن، ومما زاد من تنظيم المجتمع في الحبشة هو الدور الفعال لقبائل الأجاو التي تأثرت كثيرا بالقبائل العربية، وخطت نفس خطاها في تنظيم المجتمع، والوقوف أمام أي تمرد يريد الإخلال بأمن هذه الإمارات الإسلامية⁶⁹. كما كان لقبائل الأورومو الرعويين الذين تحولوا إلى الإسلام دور في تعزيز نشاط المهاجرين الحجازيين في الحبشة⁷⁰.

وعموما يمكن القول، أن ممالك الطراز الإسلامي طبقت نفس نظم الإدارة والدواوين في القضاء التي كانت متواجدة في المشرق الإسلامي⁷¹، وذلك لتنظيم المجتمع وحفظ هويته الثقافية واهتمامهم بنشر الثقافة العربية الإسلامية، التي زرع بذورها هجرات الصحابة الأوائل، إضافة إلى تزايد أعداد التجار الذين قصدوا الحبشة الساحل الشرقي الإفريقي⁷².

وذكر أن، قساوسة ورهبان الأسرة السليمانية، التي كانت مجاورة لهذه الممالك في الحبشة دونوا الكثير من المعلومات عن أحوال هذه الممالك؛ وحتى نهاية القرن التاسع الهجري/15م وجدت كمية كبيرة من الوثائق المسيحية⁷³، ومن بين ممالك الطراز الإسلامي التي ظهرت فيها معالم القضاء الإسلامي نجد مملكتي جبرت أو أوفات ومملكة عدل.

ويرجع تأسيس إمارة أوفات الإسلامية (جبرة أو جبرت) إلى دور أسرة "بنو عقيل"⁷⁴، أو إلى أسرة بني عبد الدار، لكن كلا البطينين يرجعان بأصلهما إلى قبيلة قريش⁷⁵، ويطلق على عاصمة إيفات اسم جبرت أو جبرتا، وهي تقع ضمن إقليم الزيلع⁷⁶.

أسسها أبناء السلطان "سعد الدين أبي البركات" عام 817هـ/1415م⁷⁷، عرفت باسم "عدل الأمراء"، وشملت الأراضي الواقعة بين مينائي الزيلع وهرر، وتمتد جنوبا لتشمل جزءا مما يعرف الآن بالصومال الشمالي وإقليم الأوجادين⁷⁸، ومن أهم ملوكها نذكر "جمال الدين"، "فخر الدين"، "حق الدين" "منصور" و"شهاب الدين بدلاي" الملقب "بأروي بدلاي أو الثعبان" الذي فتح سلطنة بلي وأسكن فيها 1000 أسرة من المسلمين⁷⁹.

ج/ مشيخة العبدلاب: تأسست في حوالي تاريخ 870 هـ/ 1465م، وكان وراء قيامها عدة عوامل، لعل في مقدمتها دور الدعاة المسلمين، الذين يعود أغلبهم لأصول القبائل حجازية، وكانت غالب هجراتهم منذ عهد معاهدة البقط⁸⁰. التي تمكنوا من خلالها من نشر الإسلام وزيادة التأثير العربي، الذي استمر بعد ذلك لعدة قرون متبعين الطرق التجارية التي كانت قائمة طيلة العصر الإسلامي⁸¹، وفي هذا يقول "ناصر خسرو": «وولاية النوبة جنوبي أسوان... ويذهب إليها التجار ويبيعون الخرز والأمشاط والمرجان ويجلبون منها الرقيق...»⁸².

ومع كثرة الهجرات القبلية الحجازية التي وصلت إلى وادي النيل قوي بذلك نفوذها وشوكتها، مما جعلها تفكر في ضرورة تأسيس كيان سياسي يمثلها⁸³، وفضلا عن الأهمية التجارية التي ساهمت في قيام هذه المشيخة، فقد كان للإسلام أثر كبير في قيامها من خلال انتشار الثقافة الدينية في وسط المجتمع النوبي، خلال العصر المسيحي الوسيط⁸⁴.

وأسس هذه المشيخة الإسلامية "عبد الله جماع"؛ وسمي بهذا الاسم لجمعه القبائل العربية الموجودة هناك في ظل نظام حكمه. يرجع بنسبه إلى أشرف البيوت العربية في السودان، ومن مميزاته وخصاله الرأي السديد، والغيرة الدينية⁸⁵.

وتجمع المصادر أن نشأة القضاء في مشيخة العبدلاب راجع إلى زمن الهجرات الحجازية للمنطقة⁸⁶، وخاصة من طرف قبيلتي جهينة وربيعة، إذ أنه بحلول القرن العاشر الهجري/16م أصبح لها نظامها الخاص الذي يوجب الحكم في المنازعات، كما حدد مؤهلات القاضي التي من بينها أن يكون حافظا للقرآن الكريم، وعارفا لأحكامه بالإضافة إلى علم الكلام والتوحيد والعلوم العربية، التي في مقدمتها النحو، وكذا إلمامه بالفقه المالكي، لأنه مذهب الحكم. وبهذا أصبحت المحكمة في القضاء العبدلابي تشبه كثيرا المحكمة في عهد الدول الإسلامية في المشرق الإسلامي مثل: الأمويين والعباسيين، ونظرائهم بالغرب الإسلامي⁸⁷.

د/ مملكة سنار: سميت بمملكة الفونج أو السلطنة الزرقاء، يرجع تأسيسها إلى عام 910 هـ- 1504م، وكان ذلك عن طريق تحالف الفونج مع مشيخة العبدلاب، مما أسفر إلى قيام سلطنة الفونج، واعتبر ذلك الحدث بمثابة العهد الذهبي للإسلام في ممالك إفريقيا جنوب الصحراء⁸⁸. وبهذا الاتحاد الفونجي العبدلابي تم القضاء على الدولة المسيحية، وتم الإعلان عن سيطرة الدين الإسلامي، والعنصر العربي على المنطقة⁸⁹.

ثم بعد ذلك، تم اقتسام السلطة بين الفريقين، حيث فاز الفونج بالسلطة السياسية للدولة، أما القبائل العربية العبدلانية فقد احتفظوا بالسلطة الثقافية أو الدينية، وبذلك كان نظام الحكم كونفدراليا بين النظامين وسميت مملكة بسنار باسم الاتحاد السناري. فنجد أن العبدلاب، يحكمون مناطقهم من قرى الحلفاية في وسط السودان، ويمتدون شمالا حتى "أبو فاطمة" عند الشلال الثالث؛ بينما تمثل سنار سيادة الدولة، التي ترجع إليها⁹⁰ كل الأقاليم الواقعة في سلطة نفوذها بكل وادي النيل الأوسط⁹¹.

د/ سلطنة دارفور الإسلامية: تأسست خلال القرن التاسع الهجري/15م، وهي واحدة من السلطنات الإسلامية التي انتشرت في أواسط بلاد السودان وادي النيل، وتحديدًا عند جبل مرة، الذي كان موطن الأسرة الحاكمة⁹² في الجزء الغربي من السودان الحالي⁹³.

وشكلت سلطنة دارفور محل استقطاب للهجرات الحجازية لأنها مدينة محصنة تتخلها بعض المرتفعات، ولاحتوائها على الخيرات، وتوفرها على الأمان كما انتشرت فيها المراعي لماشيتهم⁹⁴، وبهذا فهي مدينة تتناسب جيدا مع ظروف وحاجيات الهجرات الحجازية التي كان همها الأكبر وفرة الماء والمرعى.

وكان السلطان "سليمان صولونق" من أهم سلاطين "الكيرا" الأوائل، الذين بثوا الوعي الديني في السلطنة، وقام بنشر الإسلام في دولته، وحاشيته، ورعاياه وأقربائه وأعوانه، لذلك أطلق عليه صاحب "البر والإحسان"⁹⁵.

و/ سلطنة مقديشو: تأسست سن 292هـ-1067م، تقع على الساحل الغربي للمحيط الهندي وتحيط بها المياه من الشرق والجنوب، كما تطل على جنوبي اليمن، على جهة ساحل البحر الأحمر، وبذلك فهي محصورة بين الزنج والحبشة، توصف بالمدينة الكبيرة، وعرفت في العصور الوسطى باسم "حمر أرض الذهب"⁹⁶، سكنتها في البداية القبائل العربية، ولم يكن عليهم حاكم، غير أنه كان يدير أمورهم زعماء القبائل ذوي جاه وسلطان⁹⁷.

ودلت الآثار على وجود أول مسجد في مقديشو بني في مدينة الزيلع المقاديشية، وهو ذو قبليتين؛ إحداهما متجهة إلى القدس الشريف، والأخرى باتجاه مكة المكرمة⁹⁸.
هـ/ مملكة ممباسا الإسلامية:

انتشرت فيها مراكز التجارة مبكراً، وذلك قبل انتشار الإسلام⁹⁹، الذي توسع فيها تدريجياً بفضل التجار والدعاة، ثم تبعته الهجرات الفردية أو الجماعية، الدائمة والمؤقتة، التي قامت بدورها جنباً إلى جنب مع النشاط الدعوي والتجاري¹⁰⁰، وكان وصول بعض هذه الهجرات منذ أواخر القرن الأول الهجري/7م، مما أدى إلى استقرار إحدى المجموعات القبلية في مدينة ممباسا، وفيما بعد أسست بها سلطنة عربية إسلامية¹⁰¹.

وتذكر بعض المصادر التاريخية، أن "عبد الملك بن مروان" أرسل إلى ساحل شرق إفريقيا عدداً من النائين، ليساهموا في بنائها، ونقل العمارة الإسلامية إليها. وكان عهده، شهد وصول العديد من المهاجرين، ومشاركتهم في بناء بعض المدن الإسلامية، وأهمها مدينة ممباسا¹⁰². ومن أهم الهجرات التي قدمت إليها هجرة "آل الجلندي"، الذين قدموا إلى المنطقة بعد مشاقتهم وعدائهم مع الأمويين¹⁰³ وبعد ذلك أضحت قضية نشر الإسلام والثقافة العربية الإسلامية من أهم الأسباب لاستقرار القبائل المهاجرة¹⁰⁴.

المطلب الثاني: القضاء: مفهومه، مساره التاريخي وصلته بعلماء شرق إفريقيا.

تعد خطة القضاء من المبادئ المهمة لبناء المجتمعات الإسلامية، إذا يقوم القضاء على حفظ الحقوق ومنع الظلم وإقرار العدل، ويتطلب فهم ذلك في مقالنا هذا؛ الوقوف على مفهومه اللغوي والاصطلاحي، ثم تتبع تحوله التاريخي من الحكم بالعرف إلى الاحتكام بما جاء في الشريعة الإسلامية، ونلمس هذا التغيير في إقليمين متمايزين جغرافياً وتقاربين حضارياً، هما الحجاز وشرق إفريقيا، كما سنبرز علاقة علماء شرق إفريقيا بالقضاء من خلال دعمه وإضفاء شرعيته. وهذا ما سأحدث عليه فيما هو آتي:

الفرع الأول: مفهوم خطة القضاء

لغة: من مصدر الفعل قضي، والقضاء الحكم وأصله قضاي لأنه من قضيت، ويعرف أهل الحجاز القاضي في الجانب اللغوي حسب "ابن منظور" معناه: القاطع للأمور المحكم لها، واستقضى الأمير قاضياً، ونقول قضى بينهم قضي، وقضاي؛ والقضاي الأحكام وأحدثها قضي¹⁰⁵.

ويعرف "الفيروز الآبادي" مصطلح القضاء في معجمه: قضاء وقضيا، ورجل سريع القضاء واستقضى، صار قاضياً، ويعني أيضاً الصنع والختم والبيان وقضاء عليه عهداً أو صاه وأنفذه وإليه أناه

وغريمه واستقضى فلانا، طلب إليه أن يقتضيه وتقضاه¹⁰⁶. ومعنى آخر يدل مصطلح القضاء لغويا، على إحكام أمر واتقانه وإنفاذ لجهته، وسمي القاضي قاضيا، لأنه يحكم الأحكام وينفذها¹⁰⁷. ومن المعاني اللغوية، التي وردت للقضاء في القرآن الكريم نجد: الحكم بمعنى الإيجاب والإلزام، والمنع يقال قضى قضاء أي حكم حكما، وأيضا الاتمام والإكمال والفراغ، وجاء القضاء فيما معنى: الأداء الذي يجمع بين: العهد، والإبضاء، والعمل، والصنع¹⁰⁸، ولخص الباحث "عبد الله الخنعمي" تعريف القضاء لغة في ما معناه: القضاء جمع أقضية، وقضى يقضي قضاء، أي حكم¹⁰⁹. اصطلاحا: لم يتفق أهل المعاجم والعلماء المفسرين على معنى معين، لخطئة للقضاء من الجانب الاصطلاحي، بل تعددت آرائهم في هذا الصدد:

بين الباحث "مولاي محمد" في رسالته، أن تعريف القضاء له معنى واسع جدا، لكن غالب التعاريف تجتمع في سياق إمضاء الشيء وإحكامه أو اتمامه والفراغ منه قولاً أو فعلاً، والمراد بالقضاء الحكم الذي يتولاه القاضي، الذي يسمي الحاكم، وهو من له سلطة الحكم وسط المجتمع في منازعتهم وخصوماتهم، وإمام المجتمع يعتبر قاضيا، أو رئيس القضاة، لأن سلطة القضاء ترجع إليه، ولا يتم القضاء إلا بوجوده¹¹⁰، ويقف القاضي على الكذب والباطل والتعدي، ويجوز تأديب الظالم والمتعدي على غيره بالسوط¹¹¹. وقد اعتبر "أبو عبد الله فرج المالكي" أن القضاء من المناصب جليلة القدر، ولا يتولاها إلا من هو أهل لها¹¹².

والآن سأطرق إلى مجموعة من المفاهيم، التي عرفت القضاء في المذاهب الإسلامية: اعتبر القضاء في المذهب الحنفي، بأنه فصل الخصومات، وقطع المنازعات على وجه خاص، أما في المذهب المالكي فاعتبر القضاء بمعنى الإخبار عن حكم شرعي على سبيل الإلزام، وعند الشافعية فالقضاء هو فصل في المنازعة بين متخاصمين أو أكثر بما شرعه الله تعالى. غير أن الحنابلة قدموا عدة تعريفات للقضاء أشهرها وأكثرها تداولاً في متون الفقه الحنبلي يعرف القضاء بأنه تبين الحكم الشرعي و الإلزام به، وفصل الخصومات¹¹³.

أما تعريفه في الفرق الدينية، ومن أشهرها الإباضية، فيعتبر القضاء عندهم الرجوع في الحكم إلى كتاب الله وسنة رسوله، وبما أجمع به السلف الصالح وعلماء الأمة، والقياس والاستدلال حسب الآداب الاجتماعية التي يراعيها القاضي في المجتمع الذي يحكم فيه¹¹⁴.

ومن التعريفات التي نخرج بها في هذا الشأن، أن القضاء هو وضع الشيء في محله لكونه يكف الظالم أو المتعدي عن ضلعه، وينصف المظلوم من ظالمه، ويعطيه حقه بعد المذلة، أما القاضي فهو القاطع للأمور المحكم لها، وهو يقضي بين الناس بحكم الشريعة الإسلامية السماء¹¹⁵.

الفرع الثاني: تحول النظام القضائي في الحجاز وشرق إفريقيا من العرف إلى قيم الشريعة:

لقد هيا الإسلام لمجتمع شرق إفريقيا سبل الاتصال بالدول الإسلامية في وقت مبكر جدا من تاريخها، حيث أتاح لممالكها المختلفة ربط صلات التزاوج والثقافة والحوار مع المجتمع الحجازي¹¹⁶. ومعلوم أن، القضاء يعد من الأركان المهمة التي تحتاج إليها المجتمعات، ولا يمكن لأي مجتمع أن يستمر أو يضل متماسكا إلا بوجود خطة القضاء التي تنظمه؛ وعليه فقد كان من بين مصادر التشريع في إفريقيا جنوب الصحراء، قبل انتشار الإسلام العرف المرتبط بالعبادات الاجتماعية، التي اعتاد عليها المجتمع الإفريقي و توارثها عبر الأجيال وأضحت من الأمور المتعارف عليها، وإن كانت تتعارض مع قيم ومبادئ الشريعة الإسلامية، ولا غرابة في ذلك لأن السودانيين كانوا حديثي عهد بالإسلام، كما أن ثقافتهم ولغاتهم تختلف اختلافا واضحا عن ثقافة ولغات المجتمعات التي عرفت الإسلام منذ بزوغه¹¹⁷.

ومما تميزت به قبائل الحجاز قبل الإسلام، أنه كان لكل قبيلة أعراف وتقاليد اجتماعية خاصة بها، قد تحالف البطون والأفخاذ والعشائر الأخرى، أو تتفق معها في بعض الجوانب¹¹⁸، لذلك كانت تصدر أحكامها بما تعارف من العرف والتقاليد الاجتماعية المتوارثة عبر الأجيال، وذلك لعدم وجود نصوص محددة، والذي كان يفصل في القضايا أشخاص معروفين بالحكمة والتجربة، أو شيوخ القبائل والكهنة¹¹⁹، كما لجأ المتخاصمون في بعض الحالات القضائية إلى النساء الذين تميزوا بالنباهة والفهم، وإصابة الرأي، والخبرة في قضايا المجتمع¹²⁰.

لم يكن الحكم مرتبطا بنظام أو قانون أو شريعة معينة، بل ارتبط بالأعراف والتقاليد الاجتماعية الحجازية المنبثقة عن بيئتهم الصحراوية، ومعتقداتهم التي ألفوها، ومن القبائل الحجازية التي رشحتها قريش لتولي القضاء هم أعيان من قبيلتي بن سهم وبن عدي، أما القضايا التي كانت سائدة عندهم واحتكموا فيها هي: المواريث الأسرة والعائلات وجرائم الاعتداء والقتل والسرقة والمناوشات على الكلاً والمراعي وموارد المياه والسلطة والزعامة والشرف¹²¹.

ومن القوانين التي يصطلح علينا أن نسميها مؤسسة قضائية، لقبائل الحجاز هو حلف الفضول الذي عقد قبل البعثة النبوية بعشرين سنة ودعى إلى عقده "الزبير بن عبد المطلب" واتفقت قريش في هذا الحلف على أن لا يظلم عندهم أحد، ولذلك اعتبر حلف الفضول علامة فارقة - حضارية- وضعت حدا للظلم والفساد في المجتمع الحجازي، على غرار بعض القضايا الهامشية التي لم يأخذ بها بعين الاعتبار مثلاً: عدم اعتبارهم أخذ مال غيره ولم يردّه ظلماً¹²².

وكان حكام الحبشة من أعدل الملوك، وذلك قبل هجرة الصحابة إلى الحبشة، إذ ذكر أنه إذ وقع نزاع في الجاهلية بين بني هاشم وبني أمية، فيلجؤون إلى حكام الحبشة للإحتكام عندهم، وعموماً مثلت الحبشة قبل ظهور الدعوة المحمدية أرض وساطة وصلح بين المتنازعين في الحجاز، وخاصة قبائل قريش التي كانت تتاجر معها بكثرة¹²³.

وما يبين عدل ملوك الحبشة هو شهادة الصحابة "أم سلمة"، التي هاجرت مع الصحابة الأوائل إلى الحبشة حيث قالت: «لما نزلنا أرض الحبشة جاورنا بها خير جار النجاشي، آمنا على ديننا وعبدنا الله تعالى لا نؤذى ولا نسمع شيئاً نكرهه»¹²⁴، وأنداك اعتبرت شرق إفريقيا رقعة جغرافية مهمة من العالم الإسلامي.

وتظهر قيم العدل والوفاء عند نجاشي الحبشة في تزويجه لأمنا حبشية بنت أبي سفيان بن حرب، لرسول الله صل الله عليه وسلم بالنيابة عنه، وهي من بين الصحابيات المهاجرات المقيمة ببلده¹²⁵، حيث أكرمها، وأصدقها عن النبي بأربعمائة دينار، كما أعطها هدايا نفيسة¹²⁶.

وذكر أن، الرسول عليه الصلاة والسلام قبل بعثته النبوية كان يحكم بين المتخاصمين، ومن نماذج حكمه الراشد فصل في مسألة الحجر الأسود التي تنازعت عليها قريش حول من يضع الحجر في الركن، ففترح عليهم وضعه في قماش ويتم حمله من طرف الجميع¹²⁷، كما اشتغل أثناء دعوته بالقضاء، بين الناس مستنداً إلى القرآن الكريم و السنة النبوية الشريفة، بالإضافة إلى اجتهاده الفقهي، كما سمح لصحابته، بالفتوى بين أهاليهم ومجتمعاتهم¹²⁸، وذكر أنه في تم القتل، كان يقوم بحبس المتعدي¹²⁹.

كما تولى الخلفاء الراشدين القضاء، وقلدوا القضاة، ومن أمثلة ذلك حكم الخليفة أبو بكر الصديق بين مجتمعه وتعيينه للقضاة لتولى الحكم¹³⁰، ومن القضايا التي حكم فيها الديات. أما عمر الفاروق رضي الله عنه فكان يمنع سب القبائل لبعضها البعض، واعتبر ذلك شرفاً وكرامة¹³¹.

وفي عهد العباسيين - الذين كان لهم تأثير واضح في شرق إفريقيا- تعددت اختصاصات القضاء، حيث أصبح للقاضي دار خاصة به تسمى مؤسسة القضاء، وتوكل القضايا لقضاة ينتمون لمذهب إسلامي معين¹³²، وبذلك يمكن القول أن الشريعة الإسلامية السمحاء جعلت القضاء فريضة وسنة متبعة، وأنزلت عمل القاضي منزلة الواجب الشرعي الذي يحاسب عليه في الدنيا والأخرة، وعليه تطبيق الأحكام الشرعية¹³³.

وقبل التأثير الكبير للمهجرات الحجازية على المجتمع الإفريقي، وإدخال مؤسسة القضاء الإسلامية بكل مظاهرها، حمل الكثير من حكام الممالك والإمارات في شرق إفريقيا لقب "الشيخ"، وهو اللقب الذي كان موجودا في الحجاز قبل الإسلام، حيث تلقب به حاكم كل من: مقديشو، وبات، وكلوة الإسلامية، لما كانت تحت الحكم العربي؛ وبجانب هذا المنصب وجد أيضا منصب القاضي، الذي يجمع معه وظيفة الحسبة التي انتشرت انتشارا واسعا في كل ممالك ساحل شرق إفريقيا خلال العصر الوسيط¹³⁴.

الفرع الثالث: علاقة علماء وسلاطين شرق إفريقيا بسلطة القضاء

لقد أدى العلماء والفقهاء دورا سياسيا بارزا في ممالك شرق إفريقيا، حيث كانوا مستشارين للسلاطين، يشرفون على القضاء، ويساهمون في صياغة القوانين وفق الشريعة الإسلامية¹³⁵. وفي الكثير من الأحيان تقاسم الفقهاء السلطة مع السلطان، وطلب منهم دفع الأذى والضرر¹³⁶. وجزت العادة، أنه كان للعلماء في المشرق الإسلامي كاكل مكانة مميزة عند السلطة الحاكمة، وحتى عامة المجتمع¹³⁷.

ومن السلاطين الأفارقة الذين قدموا الدعم والهبات للعلماء والقضاة الشيخ "عبد الله القواسمي" المعروف "بعبد الله جماع"¹³⁸. كما مارس سلاطين هذه المشيخة القضاء بأنفسهم العدالة لتنظيم مجتمع مشيختهم، واقتدى هؤلاء السلاطين بأسلافهم الحجازيين، في اتخاذ الشورى في وراثته الحكم، إذ كان السلطان يحظى بقبول الأغلبية، مما جعله يقوم بدور كبير في ترسيم خطة القضاء التي نظمت بدورها المجتمع العبدلاني¹³⁹.

واتبع نفس سياسة العبدلابيين ملوك سنار، منهم الشيخ "عجيب المانجلك" الذي شهدت فترة حكمه قدوم الكثير من العلماء من شتى البلاد الإسلامية، فرحب بهم وأغدق عليهم الهبات والعطايا، ليحببهم في المكوث بمملكته¹⁴⁰.

وعن مملكة مباسا، فقد رُوِيَ أنه وُجِدَ بها عدة فقهاء وثلاثة قضاة، بقوا متمسكين بتشريعات القبائل العربية، ولم يفقدوا مميزاتهم¹⁴¹، وهذا ما يدل على دور التأثير العربي بالمنطقة.

المطلب الثالث: القضايا والأحكام التي انتشرت في مجتمع شرق إفريقيا:

مع ترسيخ الإسلام في شرق إفريقيا انتشرت معه القيم الإسلامية و الأحكام القضائية وفق الشريعة الإسلامية، مما حمل أنماطا مختلفة من التشريعات والنظم إلى ممالك شرق إفريقيا، وبذلك وجدت هذه الممالك في هذه النظم إطارا لضبط المعاملات والسلوك، وتحقيق العدل وكبح الظلم، وهذا ما أسس لبناء وحدة دينية وثقافية بالمنطقة.

الفرع الأول: تطبيق الحدود والقصاص

لقد كان بمملكة سنار موظفا مختصا في الحدود، يتولى كتابة أسماء كل التجار وأوضاعهم وبلدهم، وعدد جمالهم، وترسل معلوماتهم مع مرسل عاجل إلى العاصمة السنارية. ولم ينحصر اهتمام السلطان في التجار الأجانب فحسب، بل شمل أيضا تجار مملكته، كما تتبع سلاطين هذه المملكة ممارسي أعمال السحر للقضاء عليهم، وهذا لضمان حياة اجتماعية أفضل لمواطنيهم، وضبطهم وفق مبادئ الشريعة الإسلامية السمحاء، وكان هذا اقتداء بقضاة العالم الإسلامي¹⁴².

وكانت مشيخة العبدلاب الإسلامية تسعى من خلال عدالة القضاء إلى ترسيخ العدل بين الرعية، حتى وصل في إحدى المرات عدد القضاة في جهاز القضاء أربعون (40) قاضيا، ومن أشهر هؤلاء القضاة الشيخ "عبد الله بن دفع الله العركي"، الذي ينتسب إلى قبيلة جهينة الحجازية¹⁴³.

ولئن أجمعت الدراسات التاريخية على أن سلطنة دارفور الإسلامية، تميزت بتركيبة اجتماعية متنوعة، بعضها مجموعات عربية حجازية، وبعضها الآخر قبائل محلية، ونفس هذه القبائل تواجد البعض منها حتى في ممالك حوض بحيرة تشاد، وفي الكثير من الأحيان كان البعض من هذه القبائل يعيش حياة البدو والترحال؛ إلا أنه بوجود هذا النظام الاجتماعي ساهم في تنظيمهم وجعل لهم أماكن محددة يراعون فيها، كما منع مشاحناتهم حول أماكن الرعي¹⁴⁴.

كما تمسك سلاطين دارفور بالكتاب والسنة، لكنهم لم يهملوا التقاليد المحلية التي تمثلت في "قانون دالي"¹⁴⁵، وهو مجموعة من الأحكام العرفية، التي كان يقوم بتنفيذها حكام الأقاليم، والقاضي الأعظم الملقب بأبي شيخ، كما نص هذا القانون على ضرورة إقامة الحدود في المجتمع الدارفوري¹⁴⁶.

أما بخصوص الحدود والقصاص عند الجعليين الحجازيين الذين حكموا ممالك كردوفان فكان من عاداتهم، اجتماع سبعة قبائل من أصول حجازية، مع الشيوخ والفقهاء، ومعهم القاتل وأهله وأهل المقتول، ثم ينظر المشايخ والفقهاء في أسباب القتل، ويحكمون على القاتل بالعفو، أو القصاص، فإن كان القصاص فواضح جزائه، أما العفو فيكون حكمه الرحيل عن القبيلة، حتى لا يراه أهل المقتول، وفرضوا على أهله بدفع الدية، وهي ألف ثوب من الدمور أو نقوداً¹⁴⁷.

ومعلوم أن قضية إخراج القاتل من القبيلة هي عادة عربية منتشرة، وبهذا التأثير الحجازي تم تأسيس نظام اجتماعي دقيق يحكم أفراد كل قبيلة، بالقبائل الأخرى داخل المملكة¹⁴⁸. وكان المجتمع السواكيني يخضع لنفس النظام القضائي الذي عرفه المجتمع المكي، وذلك للفصل في خصوماتهم ونزاعاتهم¹⁴⁹. وعموماً فإن نظام القضاء الإسلامي الذي أرسته هجرات القبائل الحجازية، كان خالياً من الطبقية، وهو ما ميز الحضارة الإسلامية وقيمها الإنسانية¹⁵⁰.

ومن نوادر القصص التي حفظتها لنا كتب التراث العربي عن انتشار العدل في مملكة عدل الإسلامية، أن سلطانها "جمال الدين بن سعد الدين"، كان كثير المصاحبة للعلماء، ومن الدلائل الدالة على نشره للعدالة في مجتمعه، أن ابنه كسر يد طفل صغير من أولاد الفقراء؛ أي من العامة، إذ به أجمع جميع أهل إمارته وطلب ابنه الجاني، وعائلة المجني عليه، وبحضور الجميع طلب من الطفل أن يقتص من ابنه، بعد أن حضر أولياء المجني عليه، ولامهم على عدم إعلامهم له بذلك، وطبق القصاص بأن أخذ في الحال بيد ابنه ووضعها على حجر ثم ضربها بحديدة فكسرها، وقال له ذُق ألم الكسر، كما أذقته لغيرك، فلم يتجرأ بعد ذلك أحد من أهل إمارته على أن يمد يده لمال أحد بغير حق، أو يقوم بالظلم والتعدي¹⁵¹.

الفرع الثاني: مراقبة الصلعة والصلوصية

كان الشيخ عجيب المانجلوك يشرف بنفسه على محاربة السرقة، ومراقبة قطاع الطرق ومعاقتهم حتى انحسر نشاطهم، الذي كان يهدد أمن المجتمع¹⁵²، وكان أغلب سلاطين هذه الممالك يعينون قاضياً للنظر في القضايا الدينية بين المسلمين ويسمى قاضي الإسلام، كما وجد في سلم القضاء منصب الافناء، ومنصب كبير العلماء، وشيخ المشائخ¹⁵³.

هذا، كان هؤلاء القضاة يحرصون على حماية طريق الحج الذي يمر من عيذاب، حيث ساهموا بقدر كبير في تحقيق الأمن والرخاء الذي ساد أسوان في عهد حكم بني الكنز الربيعيين، وتقول بعض

الدراسات أنه لم يتم خرق الأمن، ولم تشهد حوادث قطع الطريق؛ وكان التاجر يترك متجره ويذهب للصلاة، أو قضاء حاجته دون أن يجروا أحد على التعدي على متجره، ومن مظاهر الرخاء الذي ساد أسوان في عهد بني الكنز تحقيق الاكتفاء الذاتي بشكل كبير لمجتمعهم¹⁵⁴.

وفيما يخص الأمر، سلطنة مقديشو الإسلامية، فقد نقل إليها المهاجرين نظام الشورى في القضاء لضبط المجتمع، إذ كانوا بذلك قريبين بذلك إلى نهج الخلفاء الراشدين، كما أدخلوا نظام المشيخة وهو نظام عربي قديم يعتمد على عراقة النسب والكرم والشجاعة والمروءة، كما انتشرت وظيفة الحسبة وتقلدها القاضي في الكثير من مدن الساحل¹⁵⁵، الذي نظم الأسواق وضبط السلوكيات غير المعقولة مثل السلب والنهب واللصوصية.

وخلال حكم الزيديين في مقديشو وُجد مجلس المدينة، وبجانبه مجالس فرعية في كل حي من أحياء مقديشو، وكان القاضي يحتل مكانة هامة، أما المظالم فكانت من اختصاص شيخ السلطنة¹⁵⁶، وفي القرن الرابع الهجري/10م تكوّن اتحاد مجلس من أشرف القبائل، للنظر في أمور المملكة ضم 39 مجموعة، وهم من والفرس والقبائل المحلية والقبائل الحجازية¹⁵⁷، حيث وضع حدا لهجمات القبائل الرعوية، وتمكّن هذا المجلس من حفظ الأمن، ونصّب العديد من الإمارات الواقعة على الساحل، مثل مركة وبرأوه¹⁵⁸.

كما تحلت الشورى في مملكة إيفات الإسلامية، عند سلاطينها وأمرائها، حيث كانت تتم المراقبة الإدارية لضبط العمال، وضمان السير الحسن لقيم المجتمع، وعلى غرار ذلك فقد تقلد الملك بنفسه مهمة النظر في المظالم للفصل بين رعاياه؛ كما كان يشترك في الحكم وضبط خطة القضاء، كل من الأمراء والقضاة وأمرء الأمصار¹⁵⁹.

الفرع الثالث: التقليل من المشاحنات والخصومات

فيما يخص هذا الجانب، كان الأثر الثقافي الحجازي واضحا جدا في المجتمع السناري، الذي تحلى عن أعرافه الوثنية والمسيحية وتأثر بأداب وأحكام الشريعة الإسلامية في التعامل مع الخلافات الاجتماعية، كما عرفوا الكثير من سنن وفرائض الإسلام في القضاء، وتنظيم المدينة الإسلامية¹⁶⁰. وبوصول هذه التأثيرات الحجازية فرض على المرأة الإفريقية عند المطالبة بدية أولادها، حضور ولي أمرها لدى القاضي، كما أوجب عليها الاحتشام وعدم التبرج والتزين¹⁶¹، وذلك لمنع الأضرار التي قد تلحق بها وهي بالخارج.

وللتقليل من المشاحنات والخصومات في مملكة دارفور اندمجت مجموعات من قبيلة الحوازمة مع البقارة، إلى جانب قبيلة دار جامع (وكلاهما من أصول جهنمية)، في نظام اجتماعي واحد نشروا من خلاله الإسلام ومعه اللغة العربية وسط الدارفوريين، كما أقاموا تحالفات قبلية كان من ثمراتها إصلاح ذات البين بين الأفراد، والمؤاخاة فيما بينهم، والجماعات المحيطة بهم¹⁶².

وعموما فالإسلام تفاعل مع الثقافات المحلية وأنتج نظاما اجتماعيا جديدا، جمع ما بين العرف القبلي الإفريقي، والقضاء الإسلامي العادل¹⁶³.

كما كان شيخ مقديشو يخصص يوم السبت، للحكم القضاء بين سكان سلطنته، وكان يحضر معه الوزراء والفقهاء والقاضي وأمراء الجند، ليفصل كل باختصاصه؛ ومما سبق يتضح مدى تأثير سلطان مقديشو بالإسلام من خلال الحرص على سماع مشاكل رعيته، وحل خلافاتهم ومشاكلهم فيما بينهم، أسوة بالنبي صلى الله عليه وسلم¹⁶⁴.

وعموما، كانت عادات وتقاليده أهل مملكة مقديشو مستمدة من القيم الإسلامية، فهم يقدسون قيم الحرية وإباء الضيم ورفض الظلم¹⁶⁵، وفيما يخص المنازعات فقد كانت سلطنة مقديشو تستند في أحكامها إلى العرف القبلي، وكان المظلوم يأخذ حقه من الجاني بتعويضه عدد من الجمال، لكن بدأت مع الوقت تنتقل طرق القضاء الإسلامي تدريجيا إلى المجتمع المقديشي¹⁶⁶.

و ماسبق، يبدو لي الدور الممتاز الذي أدته القبائل الحجازية في التأثير على الأمراء المحليين لتقليد القضاة الحجازيين، ومن ثم حكم مجتمعاتهم بأنفسهم، مما مكن من وجود طائفة متمكنة من الثقافة الإسلامية بهذه الإمارة. وقد استطاعت موجات الهجرات الحجازية أن تنقل مظاهر الحضارة الإسلامية وتجعلها منسجمة تماما مع ما يتواءم مع ذهنية وسلوك المجتمع الإفريقي، دون أن يتسبب في نزاعات مذهبية أو سياسية بينهم¹⁶⁷.

خاتمة:

خلصت نتائج هذا البحث إلى أن الهجرات الحجازية كان لها دورا كبيرا في نشر الدين الإسلامي وتأسيس الممالك الإسلامية، وترسيخ النظم الحضارية، التي من بينها القضاء الإسلامي. من بين الممالك والامارات التي عرفت القضاء الإسلامي قبائل البجة، مملكة سنار ودارفور، والفونج ومقديشو، ومباسا، وممالك الطراز الإسلامي. وقد ساهم في ممارسة هذا النشاط العلماء باعتبارهم نخبة مثقفة يتم استشارتهم، بالإضافة إلى السلاطين الذين يمثلون أعلى سلط في الحكم.

ومن أهم القضايا والأحكام التي الفصل فيها هي الحدود والقصاص، الصلعة واللصوصية، والمشاحنات والخصومات ونوصي من خلال هذا المقال بضرورة توسيع الأبحاث التاريخية حول دور الهجرات الحجازية في نقل النظم المالية مثل: الجزية، والخراج، والزكاة التي كانت ترسل إلى مصر والدول الإسلامية في المشرق.

الهوامش:

- ¹ - رمزية محمد الأطرقي: قبيلة بكر بن وائل وحروبها في الإسلام، مجلة المؤرخ العربي، الاتحاد المؤرخين العرب، بغداد، الع24، 1984، ص: 201.
- ² - عمر سالم بايكور: "الإسلام والتجدي التنصيري في شرق إفريقيا 1261-1396هـ/1844-1950م"، رسالة دكتوراه، جامعة أم القرى، 1411هـ/1990م، ص ص: 55-100.
- ³ - ربيع محمد القمر الحاج: الهجرات البشرية وأثرها في تشكيل السلوك الاجتماعي في إفريقيا منطقة النوبة وحوض النيل نموذجاً، ندوة علمية حول: التداخل والتواصل، جامعة إفريقيا العالمية، ص: 2.
- ⁴ - رجب محمد عبد الحليم: العروبة والإسلام في شرق إفريقيا من ظهور الإسلام إلى قدوم البرتغاليين، دار النهضة العربية، جامعة القاهرة وجامعة البحرين، ط1، 1999، ص ص: 19-21.
- ⁵ - ربيع محمد القمر الحاج: المرجع السابق، ص: 18.
- ⁶ - بدر هاشم منصور مفتاح: "هجرة القبائل العربية من شبه الجزيرة العربية وأثرها على الفتوحات الإسلامية في بلاد الشام والعراق منذ صدر الإسلام"، مجلة العلوم والدراسات الإنسانية، الع6، 2015، ص ص: 28-29.
- ⁷ - راشد بن حميد بن سعيد الحوسني: "إسهام البحارة العمانيين في تأسيس المنهجية العلمية للملاحة البحرية وتطويرها"، مجلة الخليل للعلوم الاجتماعية، عدد خاص، 2023، ص ص: 68-70.
- ⁸ - عبد السلام محمد الصباري: مصر في إفريقيا الشرقية هرر وزيلع وبربرة، مطبعة مصر ومكتبتها، مصر، ط1، 1939، ص ص: 9-15.
- ⁹ - فاطمة بنت ناصر بن خلف الحاتمية: "وثائق الأرشيف العُماني رحلة القبطان همروت من مسقط إلى زنجبار عام 1257 هـ / 1841م"، (د.إ.م)، الع8، 2022، ص: 163.
- ¹⁰ - عبد السلام محمد الصباري: المرجع السابق، ص ص: 20-21.
- ¹¹ - نفسه، ص ص: 1-7.
- ¹² - إيمان عباس عيدا: "الصحابة الأوائل الذين هاجروا إلى الحبشة"، مجلة كلية التربية الأساسية، المجلد26، الع107، ص: 242.
- ¹³ - غيثان بن علي بن جريس: دراسات في تاريخ الحجاز السياسي والحضاري خلال العصر الإسلامي من القرن الأول الهجري إلى القرن العاشر الهجري السابع الميلادي إلى القرن السادس عشر الميلادي، مطبوعات نادي مكة الثقافي، مكة المكرمة، ط1، 2004، ص ص: 26-27.
- ¹⁴ - السيد أحمد الباز: الحياة العلمية والثقافية في السلطنات الإسلامية في القرن الإفريقي 7-13هـ/13-15م، كلية الدراسات الإفريقية، القاهرة، ط1، 2011، ص: 199.
- ¹⁵ - محمود شيت خطاب: سفرنا النبي صلى الله عليه وسلم، المجلد1، دار الأندلس، جدة، ط1، 1996، ص ص: 24-32.
- ¹⁶ - عز الدين (ابن الأثير) ت: 6630هـ/1233م: الكامل في التاريخ، تح، عناية: عمر عبد السلام تدمري، المجلد1، دار الكتاب العربي، بيروت، 2012، ص: 247.
- ¹⁷ - عبد الرحمن (ابن خلدون) ت: 808هـ/1406م: كتاب ديوان العرب في المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من الشأن الأكبر، ضبط الفهارس: خليل شحادة، مرا: سهيل زكار، المجلد2، دار الفكر، بيروت لبنان، 2000، ص: 142.
- ¹⁸ - صفاء موسى بيلو عثمان: "هجرة المسلمين إلى الحبشة ق (5هـ-7هـ / 616-629م) دراسة تاريخية تحليلية"، رسالة ماجستير، الآداب في التاريخ تخصص التاريخ الإسلامي، جامعة الجزيرة كلية التربية - قسم الجغرافيا والتاريخ، 2016، ص: 6.

- 19- أبو الفرج عبد الرحمان (ابن الجوزي) ت: 579هـ/1201م: تنوير الغيش في فضل السودان والحيش، تح: مرزوق علي إبراهيم، تق: حكمت بشير، دار الشريف للنشر والتوزيع، ط1، 1998، ص: 72.
- 20 - خولة عامرة، محمد الشريف سيدي موسى: "مظاهر تأثير المبادلات التجارية بين المغرب الأوسط والسودان الغربي وأثرها في تحول البنى الاجتماعية للسودان الغربي"، مجلة قيس للعلوم الإنسانية والاجتماعية، المجلد 5، العدد 1، 2021، ص: 256.
- 21 - صالح أحمد العلي: الحجاز في صدر الإسلام دراسات في أحواله العمرانية والإدارية، مؤسسة الرسالة، بيروت لبنان، ط1، 1990، ص: 103.
- 22 - عبد الرحمن أحمد عثمان: المهجرات السياسية وأثرها في انتشار الإسلام في إفريقيا، دار المركز الإسلامي الإفريقي للطباعة، (د.ب)، ط1، (د.ت)، ص: 6.
- 23 - عبد الله منسي العمري ونعمان محمود جبران: "إشكالية البحرية الإسلامية في عهد الخليفة عمر بن الخطاب "قراءة في الروايات"، المجلة العربية للآداب، المجلد 3، العدد 1، 2006، ص: 139-140.
- 24 - Michalopoulou, reza, Pararolo: Stelios Ali Naghavi Giovanni, origines and spread of Islam, ber Working paper séries trade and Geography, p 22.
- 25 - إيلاف عاصم مصطفى القيسي: "التجارة الكارمية في عصر المماليك بمصر (1260-1517م)"، رسالة دكتوراه آداب، في التاريخ الحديث، مجلس كلية التربية ابن رشد، جامعة بغداد، 1427-2006، ص: 105.
- 26 - أبو بكر عوض عبد الجليل: المرجع السابق، ص: 169.
- 27 - محمد بن حسين الحارثي: بين مكة واليمن رحلات ومشاهدات، ندوة عاتق البلادي، نظمها نادي مكة الثقافي الأدبي، بعنوان: وقفات في رحلة البلدان والأنساب والتاريخ، السعودية، بتاريخ 05 جانفي 2020، ص: 5.
- 28 - حمد محمد بن صراي: العلاقات الحضارية بين شبه الجزيرة العربية والساحل الشرقي لإفريقيا من القرن الثالث قبل الميلاد إلى القرن السابع الميلادي، سلسلة كتاب الأحداث، مركز الدراسات والوثائق، الإمارات العربية المتحدة، ط1، 2009، ص: 156-180.
- 29 - الحقى إسماعيل إبراهيم: أسواق العرب التجارية في شبه الجزيرة العربية، دار الفكر، عمان، ط1، 2012، ص: 50-51.
- 30 - كارلتون كون، أدوارد هنت: السلالات البشرية الحالية، تر: محمد غلاب، مؤسسة فرانكلين للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، نيويورك، ط3، 1975، ص: 15.
- 31 - Vilhanova Slovakia Viera, Rethinking the spread of Islam in eastern and southern Africa, Asian and African Studies, Institute of Oriental Studies, Slovak Academy of Sciences, Klemensova, Bratislava, 19, 2010, p7
- 32 - ربيع محمد قمر الحاج: "المهجرات العربية إلى بلاد النوبة والسودان الشرقي وآثارها الثقافية والحضارية"، مجلة قراءات إفريقية، العدد 2، 2005، ص: 26.
- 33 - إبراهيم لاشين: إبراهيم لاشين عصام عبد المعيم: "العبيد الأحياش ودورهم في الحياة العلمية ببلاد اليمن من بداية القرن الثالث حتى منتصف القرن السابع الهجري" مجلة بحوث كلية الآداب، جامعة المنوفية، المجلد 21، 2010، ص: 11.
- 34 - نضال عبد الجبار حسوني: "العلاقات التاريخية بين اليمن والحشة للفترة 647-827هـ/1249-1423م"، مجلة الأطروحة للعلوم الإنسانية دار الأطروحة للنشر العلمي، العدد 9، 2018، ص: 227-242.
- 35 - عبد الشافي غنيم: "البحر الأحمر طريقا للدعوة الإسلامية"، قسم الدوريات حولية كلية الإنسانية والعلوم الاجتماعية، العدد 2، 1980، ص: 61-62.
- 36 - Chekroun Hirsch: Amelia, Bertrand, The Sultanates of Medieval Ethiopia Samantha Kelly. A Companion to Medieval Ethiopia and Eritrea, Brill, 2020, p 86-112.
- 37 - عبد الشافي غنيم: المرجع السابق، ص: 51.
- 38 - Teshome amenu, The rise and expansion of Islam in Bale of Ethiopia: Socio-cultural and political factors and inter- religious, A Thesis of Master of Philosophy in Religious Education; the Norwegian teacher academy (NLA), Bergen, Norway, Department of Philosophy of Religious Education, 2008, p12
- 39 - Chekroun Hirsch: Amelia, Bertrand, the Sultanates of Medieval Ethiopia Samantha Kelly. A Companion to Medieval, Ethiopia and Eritrea, Brill, 2020, pp. 86-112.
- 40 - أبو القاسم (الاصطخري) ت: 346هـ/957م: مسالك والممالك، دار صادر، بيروت، ط1، 2004، ص: 17.

- 41 - موسى أحمد كامراه: زهور البساتين في تاريخ السوداين مدونة في شعوب غرب إفريقيا في التاريخ والأنساب والأثروبولوجيا، تق، تح، ناصر الدين سعيدوني، معاوية سعيدوني، مؤسسة عبد العزيز سعود البابطين للإبداع الشعري الكويت، ط1، 2010، ص: 226.
- 42-Christine Choi, Ahmed Title God, Anti-Colonialism and Drums: Sheikh Uways and the Uwaysiyya Permalink, *A Journal of African Studies*, without a number, 1986, p 5.
- 43 - أحمد شلي: موسوعة التاريخ الإسلامي الإسلام والدول الإسلامية في إفريقيا جنوب الصحراء منذ دخلها الإسلام حتى الآن، الهيئة العامة الإسكندرية، القاهرة، ط1، 1990، ص: 106-110.
- 44 - الإصطخري: المصدر السابق، ص: 17.
- 45 - أبو الحسن (المسعودي) ت346هـ/957م: مروج الذهب ومعادن الجوهر، المجلد 2، المكتبة العصرية، عناية: كمال حسن مرعي، ط1، (د.د.ن)، بيروت، لبنان، 2005، ص: 18-20.
- 46 - الحسن بن أحمد (المهلي) ت352هـ/963م: الكتاب العزيز المسالك والممالك، التلويح للنشر والتوزيع، دمشق، ط1، 2006، ص: 36.
- 47 - المقرئ: تقي الدين (المقرئ) ت: 845هـ/1442م: الخبر عن أجناس السودان، مخطوط ميكروفيلم، المكتبة الوطنية الفرنسية، 1947، الورقة: 136.
- 48 - أحمد شلي: المرجع السابق، ص: 147.
- 49 - أحمد بن أبو يعقوب (اليقوي) ت248هـ/897-898م: البلدان، المكتبة المرتضية، (د.د.ن)، ط1، 1918، ص: 95.
- 50 - أبو عبيد الله (البكري) ت: 487هـ/1094م: المسالك والممالك، المجلد 2، تح وتو أديان ليوفن، أندري فري، دار العرب للكتاب- المؤسسة الوطنية للتحقيق والترجمة، (د.د.ب)، ط1، 1992، ص: 619.
- 51 - تقي الدين (المقرئ) ت845هـ/1442م: البيان والأغراب عما بأرض مصر من الأعراب، مكتبة ليدن، باريس ط1، 1847، ص 27.
- 52 : السيد عبد العزيز سالم، البحر الأحمر في التاريخ الإسلامي، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية، ط1، 1993، ص19.
- 53 - تقي الدين (المقرئ) ت845هـ/1442م: المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار، المجلد 1، تح: محمد زنهيم، مديحة الشراوي، مطبعة مدبولي، مصر، ط1، 1997، ص224.
- 54 - _____: الخبر عن أجناس ... المصدر السابق، الورقة: 19.
- 55 - علي السيد علي محمود: "جدة إحدى مراكز التجارة العالمية في العصور الوسطى"، مجلة الدارة، الملك عبد العزيز السعودية، المجلد 4، 1424هـ، ص 45-57.
- 56- Nehemia levtzion, Randall L. Powels, *The history of Islam in Afrika*, Athens: Ohio university Press, Oxford: James Currey oxford, Cap Town: David Philip, 2000, p421.
- 57 - محمد صالح ضرار: تاريخ سواكن والبحر الأحمر، الدار السودانية للكتب، الخرطوم، ط1، 1981، ص: 42-47.
- 58 - اليقوي: المصدر السابق، ص: 59.
- 59 - المقرئ: الخبر عن أجناس، الورقة: 138.
- 60 - إسماعيل العربي: حاضر الدول الإسلامية في القارة الإفريقية، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر. 1984، ص: 342.
- 61 - الرويضي محمود محمد فالح: "بلاد النوبة واتفاقية البقظ في الإسلام"، حوليات آداب عين شمس، جامعة عين شمس كلية الآداب، المجلد 34، 2006، ص: 194.
- 62 - أحوال النوب المعيشية كانت فقيرة جداً، بدليل أنها كانت تطلب الكساء والغذاء مقابل دفع العبيد، مما يعني أن المهاجرين ساهموا في تحسين الأوضاع المعيشية من خلال تنشيط التجارة، للمزيد ينظر: يوسف محي: الحضارة والمأساة في تاريخ الإسلام من الأندلس إلى إفريقيا جنوب الصحراء والبعد الإسلامي في سياسة مصر الخارجية، (د.د.ن)، (د.د.ب)، ط1، (د.ت)، ص: 174.
- 63 - شيخ صمت: "البقظ والتعايش الديني والتنوع في المنطقة"، المؤتمر العالمي حول البقظ، جامعة إفريقيا العالمية، الخرطوم، 2011، ص: 82.
- 64 - مياطة التجاني: " دور الإسلام في انتشار اللغة العربية في بلدان السودان الغربي "، مجلة قيس للعلوم الإنسانية والاجتماعية، المجلد 1، الع1، 2017، ص: 38.
- 65 - نحى حمدنا لله مصطفى حسن: علاقات مصر بإمارات الطراز الإسلامي في شرقي إفريقيا في عصر المماليك (648-923هـ/1250-1517م)، رسالة دكتوراه، قسم التاريخ، كلية الآداب، جامعة القاهرة، 2019، ص: 348.

- 66 - إسماعيل حامد إسماعيل علي: تاريخ قبيلة جهينة وهجراتها من جزيرة العرب ودورها في نشر العروبة والإسلام في شرق إفريقيا، دار نور حوران لدراسات والنشر والتراث، دمشق سورية، ط1، 2021، ص: 223.
- 67 - كرم الصاوي باز: ممالك النوبة في العصر المملوكي اضمحلالها وسقوطها وأثره في انتشار الإسلام في السودان وادي النيل (648-923هـ/1517-1250م)، مكتبة الأنجلو المصرية، ط1، القاهرة، مصر، 2006، ص: 350-352.
- 68 - Marco Demichelis, The Oromo and the historical of Islamisation in Ethiopia, Islamisation comparative perspectives from History, A.C.S Peacock, Edinburgh University, 2023, p137.
- 69 - عبد الله خضر أحمد: "أثر الهجرة في تكوين الإمارات الإسلامية في إفريقيا (الحبشة نموذجاً)"، مجلة قراءات إفريقية، الع19، 2014، ص: 17.
- 70 - Mohammed Hassen, THE OROMO OF ETHIOPIA, 1500-1850: WITH SPECIAL EMPHASIS ON THE GIBE REGION, Thesis submitted for the degree of Ph.D. of the University of London, School of Oriental and African. Studies, 1983, p33.
- 71 - عبد الحفيظ دبابسية: الهجرات الإسلامية إلى بلاد الحبشة وآثارها الحضارية من البعثة النبوية حتى سقوط الدولة العباسية، ضمن أعمال الملتقى الوطني الموسوم ب: الهجرة والمهاجرون في العصور الإسلامية، جامعة 8ماي 1945 قلعة، بتاريخ 23 أبريل 2018، ص: 11.
- 72- IBM ifimi, Ethiopia a country study c, Division Library of Congress, Fourth Edition 1991-1993, p42
- 73 -A. Chekroun, B. Hirsch, The Sultanates of Medieval Ethiopia Companion to Medieval Ethiopia and Eritrea, Boston, Brill, 2020, p64
- 74 - خاشع المعاضدي: دولة بني عقيل في الموصل، مطبعة شفيق، بغداد، ط1، 1968، ص: 30-31.
- 75 - محمد جاب الله علي أبو خثيم: الدين في الحبشة في عصر الأسرة السليمانية"، مجلة دراسات إفريقية، الع38، 201، ص: 44.
- 76 - دبابسية عبد الحفيظ: المرجع السابق، ص: 11-12.
- 77 - عبد الرحمان شيخ محمود الزيلعي: الصومال عربيتها وحضارتها الإسلامية، دار قنديل للنشر والتوزيع، الامارات العربية، ط1، 2018، ص: 49.
- 78 - السيد أحمد الباز: المرجع السابق، ص50.
- 79 - عبد الله خضر أحمد: المرجع السابق، ص: 19.
- 80 - إبراهيم محمد أحمد بلولة: "الهجرات والقوافل التجارية عبر الصحراء الكبرى وأثرها في نشر الإسلام والحضارة الإسلامية"، دراسات دعوية، الع9، 2005، ص: 93.
- 81 - عبد الرحمان بدر الدين: "العرب في شرقي إفريقية"، مجلة دراسات تاريخية، تعنى بالدراسات حول تاريخ العرب، الع1، إصدار لجنة كتابة تاريخ العرب، بجامعة دمشق، 1400، ص: 15.
- 82 - ناصر خسر (وعلوي) ت الأرجح 483-481هـ/1088-1090م: سفرنامه، تر: يحي الخشاب، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ط1، 1993، ص: 97.
- 83 - يوسف فضل حسن: مقدمة في تاريخ الممالك الإسلامية في السودان الشرقي 1450-1821م، سوداتك المحدودة، (د.ب)، ط4، 2003، ص: 40.
- 84 - أحمد إبراهيم دياب: "تاريخ التعليم الإسلامي في السودان وادي النيل"، مجلة معهد البحوث والدراسات العربية، معهد البحوث والدراسات العربية، الع12، 1983، ص: 107.
- 85 - يوسف فضل حسن: مقدمة في تاريخ الممالك...، المرجع السابق، ص: 38.
- 86 - صعب على المهاجرين الجدد في البداية، الفصل بين المجال الديني والعلاقات الاجتماعية، لأن المجتمع المحلي الذي تواجهوا فيه كان متأثراً جداً بالمعتقدات الدينية المحلية، لكن بعد ذلك فقد خضعت العادات والتقاليد الإفريقية في تنظيم المجتمع، إلى التأثيرات الحجازية، للمزيد ينظر: إبراهيم برمة أحمد: "الهجرات العربية إلى إفريقيا جنوب الصحراء وأثرها في نشر اللغة العربية والأدب العربي"، دورية كان التاريخية، الع41، 2018، ص: 44-46.
- 87 - محمد صالح محي الدين: مشيخة العبدلاب وأثرها في حياة السودان السياسية، دار الفكر الدار السودانية، بيروت، الخرطوم، 1972، ص: 430-431.
- 88 - إبراهيم محمد أحمد بلولة: المرجع السابق، ص: 91.
- 89 - حسن أحمد الشيخ الفادي: "الهجرات العربية إلى السودان وأثرها في تكوين المجتمعات ونشر الثقافة العربية الإسلامية"، دراسات إفريقية جامعة إفريقيا العالمية مركز البحوث والدراسات الإفريقية، الع20، 1999، ص: 129.

- 90 - شيخ صمت: المرجع السابق، ص: 90.
- 91 - يوسف فضل حسن: "مصادر تاريخ السلطنات الإسلامية في السودان الشرقي"، مجلة الدارة، المجلد 6، العدد 3، 1981، ص: 12.
- 92 - يوسف فضل حسن: مصادر تاريخ السلطنات....، المرجع السابق، ص: 13.
- 93 - محمود بكر سليمان، أبكر سليمان الطناوي: الزغاوة ماض وحاضر، (د.د.ن)، الكويت، ط 1، 1988، ص: 26.
- 94 - رجب محمد عبد الحليم: موسوعة سفير للتاريخ الإسلام المسلمون في إفريقيا جنوب الصحراء، مرا: زينهم البدوي حمدي بنورة (د.د.ن)، القاهرة، ط 1، 1996، ص: 71.
- 95 - إبراهيم موسى محمد: "المظاهر المبكرة للإسلام في دارفور وتأثيراتها المحلية"، مركز البحوث والدراسات الإفريقية، جامعة إفريقيا العالمية، السودان، (د.ت)، ص: 59-60.
- 96 - زينب التومي: العروبة والإسلام في شرق إفريقيا، دار الخلدونية، الجزائر، ط 1، 2021، ص: 62.
- 97 - زكريا بن محمد بن محمود (القرويني) 1283/هـ 682م: آثار البلاد وأخبار العباد، دار صادر، بيروت، ط 1، (د.ت)، ص: 462.
- 98 - عبد الرحمان شيخ محمود الزيلعي: المرجع السابق، ص: 61.
- 99-Louise Rolinger, CONSTRUCTING ISLAM AND SWAHILI IDENTITY HISTORIOGRAPHY AND THEORY, The MIT Electronic Journal of Middle East Studies, Vol 5, 2005, p11.
- 100-Valerie J, Hoffman, East Africa from: The Islamic World Routledge Accessed on: <https://www.routledgehandbooks.com/doi/10.4324/9780203019139.ch3>, p 41.
- 101 - هدى الزدجالي: المرجع السابق، ص: 23-33.
- 102 - بشار أكرم جيل الملاح: تاريخ الإسلام في إفريقيا، دار الفكر، عمان، ط 1، 2014، ص: 53.
- 103 - هدى الزدجالي: المرجع السابق، ص: 25.
- 104 - الدهماني سالم: "وصول المهجرات العربية الإسلامية في العصور المبكرة إلى ساحل شرق إفريقيا وأثرها في نشر الإسلام والثقافة العربية"، المؤسسة العربية للاستشارات العلمية وتنمية الموارد البشرية، العدد 2، 2015، ص: 187-191.
- 105 - أبو الفضل جمال الدين ابن منظور: لسان العرب، المجلد 15، دار صادر، بيروت، ص: 186.
- 106 - الفيروز الأبادي القاموس المحيظ، المجلد 4، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر، 1970، ص: 317.
- 107 - أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا: معجم مقاييس اللغة، المجلد 5، دار الفكر للطباعة والنشر، تح وظيف: عبد السلام محمد هارونز، (د.د.ن)، ط 1، (د.ت)، ص: 99.
- 108 - هدى علي يحي العماد: القضاء في الإسلام تعريفًا.. حكمًا.. شروطًا، (د.د.ن)، ط 1، 2023، ص: 11-12.
- 109 - عبد الله عبد العزيز، عبد الله الخثعمي: "القضاء في الفقه الإسلامي"، مجلة البحوث الفقهية والقانونية، العدد 42، جامعة الأزهر، 2022، ص: 2156.
- 110 - محمد مولاي: "القضاء والقضاة في بلاد السودان الغربي من أواخر القرن التاسع الهجري حتى الثاني عشر هجري (15-18م)"، رسالة دكتوراه، جامعة وهران 1، أحمد بن بلة، كلية العلوم الاجتماعية والإنسانية، 2018-2019، ص: 63-66.
- 111 - برهان الدين أبي الوفاء إبراهيم: تبصرة الأحكام في أصول الأفضية ومناهج الأحكام، خرج عليه أحاديثه وعلق عليه الشيخ جمال مرعطي، المجلد 2، دار عالم الكتب، الرياض، 2003، ص: 12.
- 112 - أبو عبد الله محمد بن فرج المالكي القرطبي: أفضية رسول الله صلى الله عليه وسلم، اعتنى به: فارس بن فتححي بن إبراهيم، مكتبة إبراهيم الماهر، دار الأثر، خلف جامع الأزهر، ط 1، 2006، ص: 9.
- 113 - عبد الله عبد العزيز عبد الله الخثعمي: المرجع السابق، 2022، ص: 2156.
- 114 - سالم بن حمد النبهاني: "شروط وآداب القضاء في عمان في ضوء المذهب الإباضي"، مجلة عصور، العدد 36، 2017، ص: 93.
- 115 - هدى علي يحي العماد: المرجع السابق، ص: 13.
- 116 - أسماء شريف، نور الدين شعباني: "التفاعل الثقافي والفكري بين الجزائر والسودان الغربي خلال القرنين (9-12هـ/15-18م)"، مجلة قيس للعلوم الإنسانية والاجتماعية، المجلد 6، العدد 1، 2022، ص: 612.
- 117 - محمد مولاي: المرجع السابق، ص: 92.
- 118 - هني عبد المقصود مرسي: "النظام القضائي عند العرب قبل الإسلام"، مجلة بحث الشرق الأوسط، العدد 38، المجلد 1، ص: 366.

- 119 - ناظم حسن فرحان: نظام القضاء في عصر الخلفاء الراشدين"، المجلة العراقية، الع52، (د.ت)، ص: 162.
- 120 - هني عبد المقصود مرسي: المرجع السابق، ص 366
- 121 - نفسه، ص: 368-369
- 122 - نفسه ، ص: 369
- 123 - غيثان بن علي بن جريس: دراسات في تاريخ الحجاز السياسي والحضاري خلال العصر الإسلامي من القرن الأول الهجري إلى القرن العاشر الهجري السابع الميلادي إلى القرن السادس عشر الميلادي، مطبوعات نادي مكة الثقافي، مكة المكرمة، ط1، 2004، ص: 26-27.
- 124 - غيثان بن علي بن جريس: دراسات في تاريخ الحجاز....، المرجع السابق، ص: 30.
- 125 - شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب (الويزي) ت: 733هـ/1333م: نهایة الأرب في فنون الأدب، الج18، تح: عبد المجيد تريخيني، دار الكتب المصرية، القاهرة، ط1، 1923، ص: 104.
- 126 - عبد الله بن صديق أبو هشام: الأسر القرشية أعيان مكة الحميمية، مطبوعات شهامة، المملكة العربية السعودية، ط1، (د.ت)، ص: 111-112.
- 127 - هني عبد المقصود مرسي: المرجع السابق، ص: 370
- 128 - حسن فرحان: المرجع السابق، ص: 162
- 129 - أبو عبد الله محمد بن فرج المالكي القرطبي: المصدر السابق، ص: 8
- 130 - حسن فرحان: المرجع السابق، ص: 162
- 131 - هني عبد المقصود مرسي: المرجع السابق، ص: 370
- 132 - محمد مولاي: المرجع السابق، ص: 10
- 133 - سالم بن حمد النبهاني: المرجع السابق، ص: 95
- 134 - عبد الرحمان حسن محمود: "أثر العرب والفرس المسلمين في الحياة السياسية والثقافية والدينية في الساحل الشرقي من القارة الإفريقية خلال القرون الوسطى"، أطروحة مقدمة ليل درجة الدكتوراه، قسم الحضارة الإسلامية، جامعة الزيتونة، 2001-2002، ص: 54
- 135 - محمد حسين، معلم علي: الثقافة العربية وروادها في الصومال دراسة تاريخية حضارية، دار الفكر العربية، القاهرة، ط1، 2011، ص: 125.
- 136 - عبد الجليل، الشاطر بصيلي: معالم تاريخ السودان وادي النيل، مطبعة أبو فاضل، ط1، 1955، ص: 112.
- 137 - عواطف أحمد الصاعدي: "مكانة العلماء ودورهم في الحجاز من منتصف القرن الأول إلى القرن الرابع الهجري/ من منتصف القرن السابع إلى العاشر الميلادي"، المجلة الجزائرية للبحوث والدراسات التاريخية، المجل6، الع11، 2020، ص: 16
- 138 - حسن أحمد، الشيخ القادي: المرجع السابق، ص: 134.
- 139 - جاي سيؤلندونق: عصر البطولة في سنار، تعريب: أحمد المعصم الشيخ، المكتب الوطنية للسودان، الخرطوم، ط1، 2010، ص: 279-628.
- 140 - حسن أحمد، الشيخ القادي: المرجع السابق، ص: 134.
- 141 - صلاح العقاد، جمال زكريا قاسم: زنجبار، إدارة الثقافة العامة وزارة التربية والتعليم الإقليمي، الجنوبي مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، ط1، (د.ت)، ص: 12.
- 142 - جاي سيؤلندونق: المصدر السابق، ص: 40-41.
- 143 - نفسه، ص: 279-628.
- 144 - قتيبة عبد العظيم: المرجع السابق، ص: 426-430.
- 145 - لقد جمعت الأحكام العرفية كلها في كتاب واحد عرف "بقانون دالي"، وهو بمثابة قانون الجزء ويراد بقانون دالي لسان السلطان أو أوامره، وهو الذي نظم الجانب السياسي والاقتصادي والاجتماعي في سلطنة دارفور قبل أن يدخلوا عليه القضاء الإسلامي، للمزيد ينظر: نعوم شقير: جغرافية السودان الج1، مطبعة المعارف، نجيب مري بمصر، 1979، ص: 180-181.
- 146 - رجب محمد عبد الحليم: موسوعة سفير للتاريخ...، المرجع السابق، ص: 74.
- 147 - نعوم شقير: المرجع السابق، ص: 139.
- 148 - يوسف فضل حسن: مصادر تاريخ السلطنات...، المرجع السابق، ص: 12.

- 149 - حسين مجدي صالح: الاتصالات التجارية والبشرية والدينية على ساحلي البحر الأحمر وسواكن ودورها في رحلة الحج إلى بلاد الحجاز حتى العصر الحديث"، مجلة معهد البحوث والدراسات الإفريقية، (د.ع)، 2019، ص:35.
- 150 - عمر سالم بابكور: المرجع السابق، ص:71.
- 151 - أحمد الحسيني: الجواهر الحسان في تاريخ الحبشان، المطبعة الكبرى الأميرية، بولاق المصرية، ط1، (د.ت)، ص:54-55.
- 152 - محمد صالح محي الدين: المرجع السابق، ص:436.
- 153 - حسين سيد أحمد المفتي: تطور نظام القضاء في السودان، مسطورات، السودان، ط1، 1959، ص:17.
- 154 - عطية القوسي: تاريخ دولة الكنوز الإسلامية، دار المعارف، مصر، ط1، 1981، ص:119-120.
- 155 - فيصل سيد طه حافظ: "هجرة الإخوة السبعة إلى ساحل بنادر وآثارها السياسية والحضارية مطلع القرن 4 هـ/ 10م"، مجلة الدراسات التاريخية والحضارية، الع9، 2020، ص:124.
- 156 - عبد الرحمان أحمد عثمان: الهجرات السياسية وأثرها في انتشار الإسلام في إفريقيا، دار المركز الإسلامي الإفريقي للطباعة، (د.ب)، ط1، (د.ت)، ص:28.
- 157 - أنور قاسم الحضري: "أوضاع الصومال في القرن الإفريقي"، مجلة قراءات إفريقية، ع2، 2005، ص:78.
- 158 - غيثان علي جريس: "العرب في مقديشو وأثرهم في الحياتين السياسية والثقافية في ظل الإسلام"، مجلة المؤرخ العربي، الم1، الع1، 1993، ص:136-137.
- 159 - غيثان بن علي جريس: "سلطنة أوفات الإسلامية في العصور الوسطى"، مجلة المؤرخ المصري، ع16، 1996، ص:180.
- 160 - آدم محمد حسن أبكر: "التواصل بين المغرب والسودان منذ العصر الحديث وأثره على التنوع الثقافي والحضاري"، المجلة التاريخية الجزائرية، الم4، الع1، 2020، ص:47.
- 161 - عبد الرحمان النجار: الإسلام في الصومال، معهد البحوث والدراسات الإفريقية، جامعة القاهرة، ط1، 1983، ص:37.
- 162 - سراج الدين عبد الغفار: "الصراع في جبال النوبة"، رسالة ماجستير، جامعة إفريقيا العالمية، مركز البحوث والدراسات الإفريقية، 1996، ص:30-36.
- 163 - عون الشريف قاسم: الإسلام والعربية في السودان - دراسات في التاريخ والحضارة واللغة، دار الجبل، بيروت، ط1، (د.ت)، ص:28.
- 164 - بشار أكرم جميل: "دور البلدانين المسلمين في تدوين حضارة أفريقيا ابن بطوطة أنموذجا"، مجلة كلية التربية للعلوم الإنسانية، الم22، لبع5، 2015، ص:5.
- 165 - عبد الرحمان النجار: "عادات وتقاليد من الصومال"، مجلة الوعي الإسلامي، الع172، 1979، ص:42.
- 166 - توفيق الحسيني عبده: "مكانة الجمل في الفولكلور الصومالي دراسة في الأنثروبولوجيا الثقافية"، مجلة الدراسات الإفريقية، الع15، 1994، ص:55-56.
- 167 - الدهماني سالم: "وصول الهجرات العربية الإسلامية في العصور المبكرة إلى ساحل شرق إفريقيا وأثرها في نشر الإسلام والثقافة العربية"، المؤسسة العربية للاستشارات العلمية وتنمية الموارد البشرية، ع2، 2015، ص:192-198.